جدلية الانعطاف الفكري: من تفكيكيات ما بعد الحداثة إلى رؤى ما بعد ما بعد الحداثة

The Dialectic of Intellectual Turn: From Postmodern Deconstructions to Postpostmodern Visions

1 ـ الدكتور/ هاشمي محمد بلحبيب

2 ـ بوعمامة بختي

جامعة وهران1/ أحمد بن بلة (الجزائر)

haouiadab@yahoo.com

bou86amama@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2025/10/03 تاريخ القبول: 2026/08/21 تاريخ النشر: 2026/09/15

ملخص:

لم تكن "ما بعد الحداثة "محطة سكون في تاريخ الفكر الإنساني، بل كانت لحظة مراجعة كبرى ومساءلة حادة للمفاهيم الصلبة والسرديات الكبرى، غير أن الحركة الفكرية -بطبيعتها الديناميكية- لا تتوقف عند حدود التفكيك والنقد. وفي هذا السياق، يأتي هذا البحث ليرصد الانتقال الفكري المشهود من إطار ما بعد الحداثة إلى مرحلة "ما بعد ما بعد الحداثة، وهي المرحلة التي تسعى ل تجاوز التيه الفلسفي والتفكيكية المطلقة، نحو التماس أطر جديدة تعيد تشكيل معنى المعرفة والواقعية وإعادة بناء الفاعلية الإنسانية في عالم يتسم بالسيولة والتعقيد المتزايد.

يهدف هذا المقال إلى استكشاف التحولات الفكرية والمعرفية التي شهدتها الإنسانية بين مرحلتين بارزتين في تاريخها الثقافي والفلسفي: مرحلة ما بعد الحداثة ومرحلة ما بعد ما بعد الحداثة. فقد تميزت ما بعد الحداثة بنقدها الجذري للسرديات الكبرى، وتشكيكها في مركزية العقل والعلم، وانفتاحها على النسبية والتعددية والاختلاف، مما جعلها لحظة قطيعة مع يقينيات المشروع الحداثي. غير أنّ العقود الأخيرة كشفت عن إرهاصات جديدة تجاوزت حدود النقد التفكيكي، لتؤسس لما يُعرف بـ "ما بعد ما بعد الحداثة"، وهي مرحلة تسعى إلى إعادة بناء الثقة في إمكان صياغة أفق إنساني مشترك، دون العودة إلى يقينيات شمولية مغلقة.

الكلمات المفتاحية: الحداثة، ما بعد الحداثة، ما بعد ما بعد الحداثة، الفكر، الانعطافات الفكرية.

Abstract:

This article explores the intellectual shifts between two pivotal stages in contemporary thought: postmodernism and post-postmodernism. Postmodernism is marked by its critique of grand narratives, skepticism toward reason and science, and emphasis on relativity and difference. However, recent decades have witnessed the emergence of post-postmodernism, which seeks to move beyond pure deconstruction and restore a constructive horizon for human thought. This stage balances the critical legacy of postmodernism with the need to address global challenges—such as climate change, digital transformations, and identity crises—by offering new frameworks for meaning, responsibility, and coexistence.

key words*:* Modernity, postmodernity, post-postmodernity, thought, intellectual changes.

مقدمة:

يمثل تاريخ الفكر الإنساني سلسلة متشابكة من التحولات العميقة التي تعكس علاقة الإنسان بالمعرفة، بالوجود، وبذاته. ففي مرحلة ما قبل الحداثة، كان العالم يُقرأ من خلال منظار ميتافيزيقي ولاهوتي يجعل الحقيقة مطلقة ومرتبطة بمرجعيات متعالية، سواء في الفلسفة اليونانية القديمة أو في أنماط التفكير الديني الوسيط. وقد كان الدين والمؤسسة الكنسية في أوروبا على وجه الخصوص يحددان الإطار الكلي لفهم العالم، كما كان النظام الاجتماعي والسياسي يستمد شرعيته من هذا التصور الكوني المغلق. على هذا الأساس، طغت النزعة التراتبية في بنية المجتمع والمعرفة، فالفكر الفلسفي والعلمي ظل أسيراً لإملاءات المرجعية اللاهوتية حتى أواخر العصور الوسطى.

مطلع الحداثة، حدثت القطيعة مع تلك المرجعيات الكلية، حيث تصاعدت نزعة العقلانية والتجريب، وتبنّى الفلاسفة والعلماء قيم التنوير المتمثلة في الحرية، التقدم، والإنسان بوصفه مركز الكون. لقد أصبحت الذات الإنسانية المرجع الأول للمعرفة والمعيار الذي تُقاس به الحقيقة[1] وفي هذا السياق، برزت الثورات العلمية الكبرى، بدءاً من كوبرنيكوس وغاليليو وصولاً إلى نيوتن، حيث تم الانتقال من رؤية كونية لاهوتية إلى تصور علمي مادي يعتمد على المنهج

التجريبي والقوانين الكونية الدقيقة. وبموازاة ذلك، جاءت الفلسفات الحديثة، من ديكارت إلى كانط وهيغل، لترسخ فكرة الاستقلالية العقلية، وتؤكد على إمكان تقدم البشرية عبر مشروع عقلاني تحرري[2].

غير أنّ القرن العشرين كشف حدود المشروع الحداثي، خاصة بعد الحربين العالميتين، وصعود الأيديولوجيات الشمولية، وما خلفته من أزمات وجودية وأخلاقية. هذا الوضع مهّد لبروز ما بعد الحداثة، التي جاءت رداً نقدياً على طموحات الحداثة الكبرى. فقد شكّك فلاسفة ما بعد الحداثة في صلاحية "السرديات الكبرى" التي بشرت بالخلاص العقلاني أو العلمي، وركزوا على نسبية الحقيقة، وتعدد المعاني، وأهمية الاختلاف والتفكيك. وقد فتح هذا التحول المجال أمام خطاب أكثر انفتاحاً على التعدد الثقافي، والهويات المهمشة، والمقاربات النقدية التي تتجاوز المركزية الغربية[3].

وعليه، فإن الانتقال من ما قبل الحداثة إلى الحداثة ثم إلى ما بعد الحداثة، ليس مجرد تحول في أنماط التفكير، بل هو مسار تاريخي شامل أعاد تشكيل بنية المعرفة، والعلم، والفلسفة، والإنسان ذاته. إنه مسار يعكس الصراع الدائم بين البحث عن يقين كوني شامل، وبين الاعتراف بالتعدد واللايقين كشرط أصيل للوجود الإنساني.

أولا: ما بعد الحداثة (Postmodernism)

تعريفها:

مثلما مثلت الحداثة لحظة فارقة في التاريخ الفكري والثقافي، إذ أحدثت تغييرات جذرية في الفلسفة، المعرفة، والثقافة. فإن هذه التحولات أسست لما سيأتي لاحقًا في ما بعد الحداثة ، ففي منظور ألان تورين " فإن الحداثة قد مرت بثلاث مراحل: المرحلة الأولى ومثلها ماكس فيبر والمرحلة الثانية مثلتها مدرسة فرانكفورت، والمرحلة الثالثة مثلتها ما بعد الحداثة، ويعتبر ميشال فوكو أحد فلاسفتها"[4]. ويرى البعض الآخر أن ما بعد الحداثة جاءت مناهضة لأفكار الحداثة، حيث يعلن ليوتارد من خلالها الانقلاب على قيم الحداثة وأفكارها الرئيسية، كفكرة العقل والحرية والتقدم، وبذلك يصف ليوتارد المشروع الحداثي بالمشروع الفاشل" إن غياب الأفق الكوني والتحرر العام في نظر هذا الفيلسوف يسمح لإنسان ما بعد الحداثة بالتأكد من نهاية فكرة التقدم والعقلانية والحرية، وأهم مظهر من مظاهر فشل الحداثة هو أن نصف البشرية يواجه التعقيد والنصف الأخر يواجه المجاعة، وأن الحروب التي عرفتها البشرية، تركت الإنسان يعيش بلا أوهام وأساطير أو وفقاً لتعبيره من دون نصوص سردية كبرى أو ميتا سردية "[5]. وما بعد الحداثة ليست مدرسة موحدة، بل هي تيار متنوع ومتشعب أثر على مختلف المجالات، من الفلسفة والفنون إلى السياسة والثقافة. جوهرها يقوم على الشك والتعددية والتفكيك، مما جعلها تيارًا مثيرًا للجدل ولكن أيضًا

غنيًا بالأفكار الجديدة والمحفزة. فما بعد الحداثة هي حركة فكرية وثقافية نشأت في منتصف القرن العشرين كرد فعل على الحداثة وتوجهاتها العقلانية والعلمية. وتتميز برفضها للأفكار الكبرى، والسرديات الشمولية، واليقينيات المطلقة، وتتبنى موقفًا ناقدًا للمفاهيم التقليدية للحقيقة والهوية والتقدم. حيث تهتم ما بعد الحداثة بالتعددية والنسبية والتشكيك في السلطة والمعرفة.

أ. التحولات الفلسفية:

من الناحية الفلسفية، جاءت ما بعد الحداثة رد فعل على تيارات الحداثة العقلانية، وطرحت تحولات أساسية، منها:

1. التشكيك ونقد الميتافيزيقا: التشكيك في وجود حقائق ثابتة ومطلقة. حيث يرى جان ليوطار أن النصوص السردية الرئيسة تشهد أزمة وتراجع كبير، لأن تلك النصوص فقدت جزءا كبيرا من مصداقيتها وموثوقيتها بعد الحرب العالمية الثانية والأحداث التي شهدها العالم ذلك الوقت، ويعرف عصر ما بعد الحداثة تشكيكا كبير في الادعاءات الكبرى للحداثة الغربية[6]. فأصبح ما يسمى أفول السرديات الكبرى.

2. التفكيك واللامركزية: تعتبر ما بعد الحداث تفكيك المفاهيم التقليدية أهم مرتكزاتها، مثل الذات والهوية واللغة. ذلك من خلال تجاوز الثابت وترسيخ للامركزية في قراءة النص، حيث تقوم القراءة التفكيكية على تشريح النصوص الأدبية والسينمائية من جهة، ومحاولة إيجاد الثغرة التي تحول بين ما صرح به النص وما يتضمنه من معاني[7]. أصبحت الحقيقة مثل الماسة لها أوجه متعددة.

3. نسبية الحقيقة: رفض فكرة الحقيقة الواحدة الموضوعية، والقول إن الحقيقة تُبنى اجتماعيًا. فالحقيقة لا يمكن اختزالها في طرف أو عقل أو منطق فهي متشظية بعدد الساعين إليها. لكن من سلبيات ما بعد الحداثة اعتمادها على فكرة التقويض والهدم والفوضى، إذ لا تقدم للإنسان البديل الواقعي والثقافي والعملي، فمن الصعب تطبيق تصورات ما بعد الحداثة واقعيا لغرابتها وشذوذها. و" بذلك، استهلكت ما بعد الحداثة قدرتها الاستراتيجية الفعالة في إبراز التحيزات المجحفة دون أن يكون لها موقف أخلاقي أو سياسي أو اجتماع."[8]. أصبحت الحقيقة مرنة ومفتوحة التأويل.

4. نقد السلطة والخطاب: كما هو عند ميشيل فوكو، الذي ناقش كيف يتم تشكيل السلطة من خلال المعرفة والخطاب. أصبحت كل ما كان يعرف بالحقائق مشككا فيها بالية ولا تحمل أي قيمة من الناحية، وموقف معارضة ضد من يملكون السلطة في نشر هاته الادعاءات الكبرى من ناحية

فلا يملك ما بعد الحداثيين أي مرجعية صلبة وثابتة تتناسب وتتوافق مع العالم[9]. دعا فوكو إلى نقد الخطابات السائدة لكشف العلاقات الخفية بين المعرفة والسلطة.

ب. التحولات المعرفية:

تشمل التحولات المعرفية في ما بعد الحداثة تغيرات جوهرية في الطريقة التي نفهم بها المعرفة والعلم، ومن أبرزها:

1. نقد العقلانية المطلقة: رفض الادعاء بأن هناك طريقة واحدة "موضوعية" لمعرفة الحقيقة. يقول دفيد كارتر "وتعبر هذه المواقف من ما بعد الحداثة عن موقف متشكك بشكل جوهري لجميع المعارف البشرية، وقد أثرت هذه المواقف على العديد من التخصصات الأكاديمية وميادين النشاط الإنساني(من علم الاجتماع إلى القانون والدراسات الثقافية، من بين الميادين الأخرى). وبالنسبة للكثيرين تعد ما بعد الحداثة عدمية على نحو خطير، فهي تقوض أي معنى للنظام والسيطرة المركزية للتجربة. فلا العالم ولا الذات لهما وحدة متماسكة "[10].

2. التعددية المعرفية: الاعتراف بتعدد وجهات النظر والتأكيد على أن الحقيقة ليست مطلقة بل نسبية. فما بعد الحداثة "هي تعارض فكرة الكلية، وفي المقابل تدعو إلى التعددية والاختلاف واللانظام، وتفكيك ما هو منظم ومتعارف عليه"[11]. فهي تدعو إلى التسامح الفكري وقبول التنوع في الأفكار والتفسيرات.

3. تفكيك النصوص والمعاني: استخدام أساليب مثل التفكيكية (جاك دريدا) لإظهار تعددية المعاني داخل النصوص. حيث ترى نظرة ما بعد الحداثة يرى أن مقاربة نصوص ما بعد الحداثة لا تتقيد بالمعايير المنهجية، وليست ثمة قراءة واحدة، بل قراءات منفتحة ومتعددة[12]، فالمعاني تتعدد بتعدد القراءات.

4. التشكيك في سلطة المعرفة :مناقشة كيف يتم تشكيل المعرفة من خلال السلطة والسياقات الاجتماعية والتاريخية. فقد تسلحت ما بعد الحداثة بـ "بمعاول الهدم والتشريح لتعرية الخطابات الرسمية، وفضح الإيديولوجيات السائدة المتآكلة باستعمال لغة الاختلاف والتضاد والتناقض"[13]. فلا سلطة للمؤلف ولا النص وحتى المعرفة.

ج. التحولات الثقافية والأدبية:

مع مجيء ما بعد الحداثة، انقلبت المسلمات رأساً على عقب. ولم يعد الأدب يبحث عن اليقين، بل أصبح أداة للتشكيك والتفكيك، حيث تلاشت الحدود بين الجدي والهزلي، وبين الحقيقي والمتخيل. وهيمنت السخرية والتناص واللعب باللغة، وأصبحت النصوص تتحدى القارئ، رافضة أي تفسير

نهائي للحياة أو الفن. فقد شملت التحولات الثقافية في ما بعد الحداثة تغييرات كبيرة في الفنون والأدب واللغة والتفاعل الاجتماعي، ومنها:

1. كسر الحدود بين الفنون الرا اقية الجودة والمنخفضة: إذ لم يعد هناك تمييز صارم بين "الفن الرفيع" و"الثقافة الشعبية." بمعنى أن يتحرر النقد الأدبي من الالتزام بالقواعد المنهجية والمعايير المسبقة. وفي هذا النطاق، يقول دافيد كارتر:" وأحد تلميحات ليوتار عن ما بعد الحداثة، وهو أمر هام بالنسبة للإجراءات التي اعتمدها النقد الأدبي، هو أن التحليل يجب أن يمضي قدما دون أي معايير محددة مسبقا، حيث يتم الكشف عن المبادئ والقواعد المنظمة في عملية التحليل" [(14)]. فأصبح كل شيء يقدم هو مادة فنية، بغض النظر عن مصدره أو مستواه الفني أو الثقافي.

2. التداخل بين الحقيقة والخيال :كما يظهر في الفن المعاصر والأدب، حيث تختلط الحقائق بالأساطير والسرديات غير التقليدية وبالتالي، " فقد رفض التمييز بين المظاهر والحقائق الكامنة وراء هذه المظاهر. وبالنسبة له، انهارت أخيرا الفوارق بين الدال والمدلول. ولم تعد العلامات تشير إلى مدلولات بأي معنى معقول، حيث يتكون العالم الحقيقي من الدلالات العائمة . وقد شرح بوديار هذه الأفكار في عمله ":(التظاهرات والمحاكاة 1981) " [(15)]،فأصبح هناك نوع من الإرباك، حيث لم يعد من الممكن التفريق بوضوح بين ما هو واقعي وما هو متخيل.

3. التكنولوجيا والإعلام :صعود الثقافة الرقمية وتوسع الإعلام أدى إلى إعادة تشكيل مفاهيم الهوية والواقع. يقول محمد رباعة "رافقت (ما بعد الحداثة) تطور وسائل الإعلام، فأصبحت الصورة البصرية علامة سيميائية تشهد على تطور ما بعد الحداثة، ولم تعد اللغة هي المنظم الوحيد للحياة الإنسانية، بل أصبحت الصورة هي المحرك الأساس للتحصيل المعرفي"[(16)].

4. التحرر من القواعد التقليدية :تشجيع التنوع والانفتاح على التجارب الثقافية المختلفة. " فالحداثة و الاختلاف أحدهما يبشر بالأخر وينتظره بعد المنعطف القادم"[(17)]، فأصبت الكتابة لا تخضع لأي شكل تقليدي وتحررت من كل قيود، واعتبرت أن كل نظام أو قيد يحد من الإبداع.

ثانيا: ما بعد ما بعد الحداثة:(Post-Postmodernism)

تعريفها:

جاءت هذه المرحلة بعد مخاض استمر طيلة المراحل التي سبقتها من المرحلة الأولى التي تمثل الجمود والمرحلة الثانية التي تمثل الثورة والثالثة التي تمثل التمرد، " كان ظهورها في الوعي الإنساني نوعاً من مقاربة الحسم، لإنهاء التذبذب الذي سيطر على الأزمنة الثلاثة(ما قبل الحداثة، الحداثة، ما بعد الحداثة)"[(18)]، يمثل عصر "ما بعد ما بعد الحداثة" محاولة لموازنة إرث ما بعد الحداثة مع البحث عن معنى جديد في ظل العولمة والتكنولوجيا المتقدمة. فأصبحت هذه المرحلة

هي مرحلة استعادة التوازن للانسجام الداخلي الذي يعمل على أن يستعيد الإنسان إنسانيته أولاً ومن ثم يستعيد العالم هذا الانسجام الإنساني ثانياً[19]. هذا التحول أثر بشكل كبير على المعرفة، الثقافة، الفلسفة، والأدب، مما أدى إلى ظهور تيارات جديدة تستعيد دور المشاعر والمعنى دون التخلي عن النقد والتعددية. فما بعد ما بعد الحداثة هو مصطلح يشير إلى مرحلة فكرية وثقافية تلت مرحلة ما بعد الحداثة، ظهرت مع بدايات القرن الحادي والعشرين. تسعى هذه المرحلة إلى تجاوز التشكيك المطلق والتفكيك اللانهائي لما بعد الحداثة، مع البحث عن نوع جديد من المعنى والاتصال الإنساني دون العودة إلى يقينيات وسرديات الحداثة الكلاسيكية. وتركز "ما بعد ما بعد الحداثة" على التوازن بين النسبية والمعنى، حيث تقبل التعددية والتشكيك، ولكنها تحاول أيضًا بناء رؤى إيجابية وذات مغزى للعالم

أ. التحولات الفلسفية:

أثرت الفلسفة في هذه المرحلة في عدة اتجاهات، أبرزها:

1. التوفيق بين النقد والبناء: حيث يتم دمج التفكيك النقدي مع بناء معانٍ جديدة. يقول إيشلمان "يمكن تحديد الأدائية ببساطة على أنها الحقبة التي ابتدأ فيها التنافس المباشر بين المفهوم الموحد للعلامة واستراتيجيات الغلق من ناحية المفهوم المتشظي للعلامة واستراتيجيات انتهاك الحدود المميز لما بعد الحداثة من ناحية أخرى"[20]، حيث أصبح هناك نقد بناء يظهر المشكل ويقترح الحلول.

2. التقاطع بين الفلسفة والعلوم: مثل الفلسفة الإدراكية وفلسفة الذكاء الاصطناعي التي تحاول فهم كيفية تشكل الأفكار والهويات في عصر التقنية. حيث أثر التطور التكنولوجي على الحياة الإنسانية وأصبحت جزء لا يتجزأ منها، فاختلت الأفكار البشرية مع التقنية في مشهد لا يمكن الخلاص منه، مما أدي لتشكل أفكار وهويات غير مألوفة، هي نتاج الأفكار البشرية والتقنية.

3. التأكيد على التجربة الإنسانية: حيث يتم تجاوز التشكيك المطلق لإعادة تأكيد دور الذات والمجتمع في تشكيل المعنى. ترى تيمر قضيتن على وجه الخصوص لهما أهمية أكبر للكتاب بعد ما بعد الحداثيين، وهما "التعبير التعاطفي عن المشاعر و"الدافع نحو الاتصال والتواصل بني الذوات"[21]. فأصبح هناك إحياء لبعض القيم.

ب. التحولات المعرفية:

تشمل التحولات المعرفية في مرحلة "ما بعد ما بعد الحداثة" التوجهات التالية:

1. عودة الاهتمام بالحقيقة والمعنى: ولكن بطريقة غير مطلقة أو جامدة كما في الحداثة. كما تقول أماني أبو رحمة "هي مرحلة إعادة هذه المفاهيم إلى أضدادها أي إرجاعها ضمن إطارها الميتافيزيقي المتسامي كالبعث والنشور والعبور إلى التطهير وطقوس الملأ والتأليه والعبادة عبر

التأكيد على الفاعلية الإيجابية لتلك المفاهيم"[22]. أيجاد معنى حقيقي في عصر الفوضى المعلوماتية.

2. التفاعل بين العلم والتكنولوجيا والمعرفة: حيث يتم دمج التفكير النقدي مع الأدوات الحديثة مثل الذكاء الاصطناعي والبيانات الضخمة لفهم الواقع. يقول فوكو "ربما كنت أصر كثيرا على تكنولوجيا الهيمنة والسلطة. ولكني الآن أكثر اهتماما بالتفاعل بين الذات والآخرين، وتكنولوجيات السيطرة الفردية، وصيغ العمل التي يمارسها الفرد على نفسه عن طريق تكنولوجيات الذات". فيحدد فوكو الذات من حيث تسعى للمعرفة[23].

3. التداخل بين الذاتي والموضوعي: فالمعرفة ليست ذاتية تمامًا كما في ما بعد الحداثة، لكنها أيضًا ليست موضوعية بالكامل، بل يتم التفاوض بشأنها في سياقات متعددة. "أي أن الأدائية ترفض مساحة العقلنة في كل تفاصيل المشهد الفكري، وتخفف كثيراً من غلواء رغبة الابستمولوجيا في تأطير كل معرفة ضمن الإطار الابستمولوجي الذي أوصل ما بعد الحداثة إلى الاستخفاف بكل شيء"[24].

ج. التحولات الثقافية:

تشمل التحولات الثقافية في ما بعد ما بعد الحداثة:

1. إعادة تشكيل الهوية الإنسانية: في ظل العولمة، أصبح هناك مزيد من التداخل بين الثقافات والهويات المتعددة، مما أدى إلى ظهور أشكال جديدة من الذاتية. يلاحظ كيربي أيضا انتشار التوحد في الثقافة المعاصرة، مقابل أخير البارانويا الحداثية والفصام ما بعد الحداثي[25]. لم تعد الهوية ثابتة أو جوهرية، بل مرنة وقابلة للتغيير سب السياق والتجارب الشخصية، مثل الجمع بين هويات ثقافية واجتماعية متعددة أو هويات مرتبطة بالوجود الافتراضي.

2. التفاعل بين العالم الرقمي والحقيقي: مع تقدم التكنولوجيا، أصبحت الحدود بين الواقع والافتراضي غير واضحة، مما ينعكس على الثقافة وطريقة التواصل والفن. يقول كيربي ". وعلى عكس الواقعية، يجب أن يقدم الواقعي الظاهري نفسه فقط على أنه واقعي حتى يتم قبوله، على الرغم من أن الجمهور يظل مدركا للواقعية الفعلية: إلا أن ما يراه أو يسمعه يبدو واقعيا تماما، وبالتالي سنأخذه على هذا النحو"[26]. هذا التفاعل أتاح امكانات جديدة للتواصل والإبداع، لكنه أثار قضايا حول الخصوصية والهوية وموثوقية المعلومات.

3. دمج المشاعر مع النقد: على عكس ما بعد الحداثة التي غالبًا ما كانت ساخرة ومتشككة، فإن ما بعد ما بعد الحداثة تسعى إلى التعبير عن المشاعر العميقة والتواصل الإنساني بطريقة أكثر واقعية وإنسانية. قدم والاس التحول الى بعد ما بعد الحداثة بصفته تحولا عن السخرية والانعكاس الذاتي إلى التركيز على القيم والعواطف البشرية، إذ ليس من المعقول أنه بعد قرارات

التفكيك اللانهائية، ستندلع الرغبة في البناء. لقد اختارت بعد ما بعد الحداثية إعادة بناء تلك القيم وسيلة لمقاومة النسبية ما بعد الحداثة[27]. دمج المشاعر مع النقد يعكس وعيا اكبر بتعقيد التجربة الإنسانية، حيث لا يمكن فصل العقل عن العاطفة.

د. أثر ما بعد ما بعد الحداثة على الأدب:

مع دخولنا عصر ما بعد ما بعد الحداثة، وجد الأدب نفسه أمام تحديات جديدة حيث لم يكفي النقد أو التفكيك، بل باتت الحاجة ملحة إلى إعادة بناء أشكال جديدة للتعبير. في زمن العوالم الافتراضية، والذكاء الاصطناعي والتشابك الرقمي، فأصبح الأدب سائلاً، ينتقل بين الأنماط التقليدية والوسائط الرقمية، مستكشفاً حدود الهوية واللغة في عالم بات يصعب فيه التمييز بين الواقعي والمزيف. فانعكست هذه التحولات على الأدب بطرق عديدة، منها:

1ـ ظهور سرديات أكثر إنسانية: بدلاً من السخرية اللانهائية والتشكيك المطلق لما بعد الحداثة، بدأ الأدب الحديث يميل إلى تقديم تجارب إنسانية أكثر دفئًا وذات مغزى. "يركز الأدب بعد ما بعد الحداثي على الجوانب الهيكلية للهوية والمجتمع، في مقابل الشعور بالأنانة الذي تولده الثقافة. يرى ماكولين أن هذا هو الجانب التأسيسي لبعد ما بعد الحداثة"[28]، لأنها تعيد التركيز على التجربة الإنسانية بكل تعقيداتها العاطفية والأخلاقية، من حيث هي تجارب شخصية ومشتركة في آن واحد.

2ـ التلاعب بالأنواع الأدبية: حيث يتم مزج الخيال العلمي، والفانتازيا، والسيرة الذاتية، والفلسفة بطريقة جديدة وغير تقليدية. ووفق لكيربي، فإن "شخصية مؤلف ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية سيئ السمعة والوحيد أو الساخر والمخلوع عن عرشه قد عفا عليها الزمن" لأن الحداثة الرقمية "تلغي التفرد المفترض للتأليف"، و" تعيد المؤلف بصمت، كما تعيد تقييمه" من ويكيبيديا إلى لوحات الرسائل، يمتلئ الإنترنت بالنصوص التي كتبها نفس الأشخاص الذين يستخدمونها، والذين يظلون في الغالب مجهولين.[29] أصبح دمج بين أنواع أدبية متعددة، مثل المزج بين الرواية والشعر والسيرة الذاتية والنقد الأدبي.

3ـ التفاعل مع العالم الرقمي: أصبحت الروايات الحديثة تستفيد من التكنولوجيا، سواء في موضوعاتها أو في طريقة نشرها وتقديمها (مثل الأدب التفاعلي) . يرى كيربي "يظهر النص التقليدي للجميع تقريباً في مجمله، منتهياً، مادياً، ومصنوع. على النقيض من ذلك، فإن النص الرقمي متاح ومتداول، والقارئ منغمس فيه بشكل مستمر"[30]، فأصبحت القصص الرقمية تتغير حسب اختيار القارئ، مما يعكس تداخل بين الواقع الرقمي مع السرد الأدبي.

4. إعادة النظر في السرد: بدلاً من تفكيك النصوص بشكل متطرف، هناك ميل نحو استكشاف طرق جديدة للسرد تعكس تعقيدات العصر الحديث. تقول أماني أبو رحمة " نحن ندخل عصر ترجمة الأفلام العالمية، والدبلجة المعممة. إن الفن اليوم يستكشف الروابط التي ينسجها النص والصورة فيما بينهما. ويخترق الفنانون مشهدا ثقافيا مشبعا بالعلامات، خالقين مسارات جديدة بين الصيغ المتعددة للتعبير والاتصال"[31] حيث تحول فيه المتلقي إلى جزء من العمل الفني من خلال التفاعل الذي أصبح سمة عادية في هذا العصر.

وهكذا تظل التحولات الأدبية شاهدة على رحلة الفكر الإنساني، حيث لم يكن الأدب يوماً كياناً ثابتاً، بل كان دائماً في حالة حركة، يواكب العصر ويعيد تشكيل رؤيتنا للحياة في كل مرحلة من مراحله. ورأينا كيف أنه يعيد تشكيله حسب التغيرات الفكرية والفلسفية والمعرفية، من خلال هذه الجولة داخل المراحل الفكرية التي مرت بها الإنسانية، فمن ارتقاء العقل إلى المركزية وصولا إلى مرحلة الهدم والتفكيكية والعبثية حيث لا مقدس فيها، ليصل الفكر بأنه لم يعد مقتصرا على الهدم أو التشكيك فحسب، بل أصبح يسعى لإعادة تشكيل أدوات جديدة لفهم الذات والعالم، ليس عبر يقين مطلق، ولكن عبر وعي بانسيابية المعنى واستحالة الثبات. مما يدل على أن الإنسان سيتجاوز هذه المرحلة أيضا، لأن الفكر الإنساني لا يعرف التوقف وكل مرحلة تستدعي التي تليها، في سيرورة متواصلة نحو البحث عن ذاته وعن تفسير ما حوله، فهو في حالة بحث دائم مع تغير الأسئلة في كل عصر وزمان وستتغير معه فلسفته ومعارفه وينعكس ذلك على حياته السياسية والاجتماعية والثقافية وبالتالي سيتغير أيضا معه الأدب ويعيد تشكيله.

معالم الانعطافات الفكرية والفروق الجوهرية بين المرحلتين:

تتحرك الصيرورة الفكرية عبر التاريخ في شكل انعطافات حتمية، حيث لا تتشكل المعرفة في بيئة مغلقة، بل تتبلور كاستجابة نقدية لما يسبقها. وقد جسد الانعطاف نحو ما بعد الحداثة لحظة حاسمة في نقض اليقينيات والعقلانية الصلبة، حيث انصبت جهودها على تقويض السرديات الكبرى وتفكيك المقولات المطلقة لحساب النسبية والتعددية. غير أن الاستغراق في التفكيك أدى إلى حالة من الفراغ المعرفي والسيولة المفاهيمية، مما فرض ظهور انعطاف جديد نحو مرحلة ما بعد ما بعد الحداثة.

تتجلى الفروق الجوهرية بين هاتين المحطتين عبر عدة مستويات؛ فعلى الصعيد الفلسفي، انتقل الفكر من العدمية والتشكيك المطلق وإعلان موت الحقائق الكبرى إلى التماس استقرار معرفي جديد يسعى لإعادة بناء المعنى وتأسيس عقلانية مرنة تجمع بين النقد والتركيب. وأما على المستوى الاجتماعي، فقد تراجعت نزعة التفكيك التي حولت المجتمعات إلى شظايا وفردانيات معزولة داخل

أطر افتراضية، لتفسح المجال أمام رغبة ملحة في استعادة التماسك الاجتماعي والبحث عن القيم الإنسانية المشتركة وإعادة الاعتبار للفاعلية البشرية في مواجهة السيولة.

وقد انعكس هذا التحول بشكل جلي على النتاج الأدبي، حيث تحول الأدب من تقنيات ما بعد الحداثة القائمة على التهكم والسخرية واللعب اللغوي والتناص المعقد، إلى أدب يغلب عليه صدق التجربة والبحث عن الأصالة الإنسانية، حيث يعود الراوي للبحث عن الحقيقة والتعاطف مع القضايا الوجودية دون السقوط في المباشرة التقريرية. إن هذا الانعطاف يمثل انتقالاً شاملاً من موقف الهدم والتجاوز إلى مرحلة التأسيس والبحث عن غايات واقعية تمنح الفكر والمجتمع والأدب معاني أكثر ثباتاً وحيوية.

خاتمة:

إن استقراء المسار التاريخي الممتد من ما قبل الحداثة إلى الحداثة، وصولاً إلى ما بعد الحداثة، يكشف عن دينامية فكرية متواصلة، تتجسد في انتقال المعرفة من يقينيات مطلقة إلى أفق مفتوح على النسبية والتعددية. ففي المرحلة الأولى، ساد منطق المرجعيات الكلية والميتافيزيقية التي منحت الإنسان تصوراً للعالم محكوماً باللاهوت والتراتبية، بينما جاءت الحداثة لتؤسس لعصر جديد قوامه العقل، والمنهج العلمي، والإيمان بالتقدم والحرية الفردية. غير أنّ هذه المرحلة، رغم إنجازاتها الكبرى على صعيد الفلسفة والعلوم والتقنية، اصطدمت بحدودها حينما تحولت العقلانية إلى أداة هيمنة، وكشفت التجارب التاريخية الكبرى عن هشاشة وعودها الخَلاصية.

لقد مثّلت ما بعد الحداثة رداً نقدياً على هذا الإرث، حيث دعت إلى مساءلة السرديات الشمولية وتفكيك بنيات السلطة والمعرفة، والاعتراف بالاختلاف واللايقين. وبهذا المعنى، لا يمكن النظر إلى ما بعد الحداثة كمرحلة قطيعة جذرية مع الماضي بقدر ما هي إعادة صياغة للسؤال الفلسفي حول الحقيقة والمعنى، بل وإعادة توزيع للثقل بين المركز والهامش.

وعليه، فإن ما يجمع هذه المراحل الثلاث ليس الانفصال التام، بل جدلية التراكم والتحول، حيث تنبني كل مرحلة على نقد سابقتها وتجاوزها، دون أن تلغي بالضرورة مقوماتها. وهذا ما يجعل دراسة هذه التحولات الفكرية والفلسفية والعلمية ضرورة منهجية لفهم موقع الإنسان في العالم المعاصر، وما يواجهه من تحديات تتراوح بين طموحات التقنية الحديثة وأسئلة الهوية، المعنى، والمسؤولية الأخلاقية.

مصادر ومراجع:

1. آلان تورين، نقد الحداثة، ترجمة أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، المطابع الأميرية، القاهرة 1992.

2. أماني أبو رحمة، الذات بين فوكو ولاكان، 15 فيبراير 2025،

http://amaniaburahma.blogspot.com/2016/06/blog-post_1.html

3. أماني أبو رحمة، بعد ما بعد الحداثة، سلسلة الأنوار، الجامعة الإسلامية، فلسطين، المجلد 14، العدد:3-2024.

4. أماني أبو رحمة، ثلاثة سمات لأدب بعد ما بعد الحداثة، مجلة الأديب العراقي، الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، العدد:4، السنة63- 2024.

5. حنان حطاب، التفكيك نحو التأسيس للمختلف، مجلة العلوم الاجتماعية، عدد27، (أفريل2018).

6. خالدي مزاتي، إشكالية ما بعد الحداثة في الفلسفة الغربية المعاصرة: جان فرانسوا ليوتار ويورغن هابراس أنموذجا، جسور المعرفة، العدد4، (ديسمبر2020).

7. ديفيد كارتر: النظرية الأدبية، تر: باسل المسالمه، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط1، 2010.

8. رنا فرمان محمد، الأدائية: بعد ما بعد الحداثة في رواية فرانكستاين في بغداد أنموذجا، مجلة القادسية، كلية الأدب، جامعة القادسية،مجلد:15، العدد:2، تشرين الأول 2014.

9. الزواوي بغورة ، ما بعد الحداثة والتنوير، ، موقف الأنطولوجيا التاريخية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2009.

10. سعد البازعي وميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ، 2000.

11. سعد البازعي وميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2 ، 2000.

12. صفدي مطاع، نقد العقل الغربي، الحداثة وما بعد الحداثة، مركز الإنماء القومي، 1990.

13. كريستوفر باثلر، ما بعد الحداثة، تر: نيفين عبد الرؤوف، هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط1، 2016.

14. محمد رباعة، مأزق الحداثة وما بعد الحداثة وموقف الإسلام منها، دار القبس للنشر الإلكتروني، بومرداس، ط1، 2000.

15. محمد عبد المطلب، مناهج الحداثة والتراث العربي، العرب نقلة لا مبتكرون، مجلة فيصل، (ماي، جوان) 2016، العدد475-476.

16. معن الطائي، أماني أبو رحمة، الفضاءات القادمة الطريق إلى ما بعد ما بعد الحداثة ، مؤسسة روافد للدراسات والترجمة والنشر،القاهرة،ط1، 2011.

17-Jürgen Habermas, *The Philosophical Discourse of Modernity* (Cambridge: MIT Press, 1987), 23–25

18-Immanuel Kant, *Critique of Pure Reason*, trans. Paul Guyer and Allen W. Wood (Cambridge: Cambridge University Press, 1998), A51–B75

19-Jacques Derrida, *Writing and Difference*, trans. Alan Bass (Chicago: University of Chicago Press, 1978), 278–281

الهوامش:

(1) Jürgen Habermas, *The Philosophical Discourse of Modernity* (Cambridge: MIT Press, 1987), 23–25

(2) Immanuel Kant, *Critique of Pure Reason*, trans. Paul Guyer and Allen W. Wood (Cambridge: Cambridge University Press, 1998), A51–B75

(3) Jacques Derrida, *Writing and Difference*, trans. Alan Bass (Chicago: University of Chicago Press, 1978), 278–281

(4) آلان تورين، نقد الحداثة، ترجمة أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، المطابع الأميرية، القاهرة 1992ص118.

[5] الزواوي بغورة ، ما بعد الحداثة والتنوير ، موقف الأنطولوجيا التاريخية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2009، ص16.

[6] ينظر: خالدي مزاتي، إشكالية ما بعد الحداثة في الفلسفة الغربية المعاصرة: جان فرانسوا ليوتار ويورغن هابراس أنموذجا، جسور المعرفة، العدد4، (ديسمبر2020) ص102.

[7] حنان حطاب، التفكيك نحو التأسيس للمختلف، مجلة العلوم الاجتماعية، عدد27، (أفريل2018)، ص109.110.

[8] سعد البازعي وميجان الرويلي :**دليل الناقد الأدبي**، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ، 2000، ص138.

[9] ينظر: كريستوفر باثلر، ما بعد الحداثة، تر: نيفين عبد الرؤوف، هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط1، 2016، ص19.20.

[10][10] ديفيد كارتر :النظرية الأدبية، تر: باسل المسالمه، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص:130.

[11] محمد رباعة، مأزق الحداثة وما بعد الحداثة وموقف الإسلام منها، دار القبس للنشر الإلكتروني، بومرداس، ط1، 2000، ص136.

[12] سعد البازعي وميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2 ، 2000، ص143.

[13] محمد رباعة، مأزق الحداثة وما بعد الحداثة وموقف الإسلام منها، ص135.

[14] ديفيد كارتر :النظرية الأدبية، ص134.

[15] المرجع نفسه، ص132.

[16] محمد رباعة مأزق الحداثة وما بعد الحداثة، ص136.

[17] صفدي مطاع، نقد العقل الغربي، الحداثة وما بعد الحداثة، مركز الإنماء القومي، 1990، ص54.

[18] محمد عبد المطلب، مناهج الحداثة والتراث العربي، العرب نقلة لا مبتكرون، مجلة فيصل، (ماي، جوان) 2016، العدد475-476، ص62.

[19] ينظر: مرجع نفسه، ص61.

[20] محمد رباعة، مأزق الحداثة وما بعد الحداثة وموقف الإسلام منها، ص157.

[21] أماني أبو رحمة، ثلاثة سمات لأدب بعد ما بعد الحداثة، مجلة الأديب العراقي، الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، العدد:4، السنة63- 2024، ص4.

[22] معن الطائي، أماني أبو رحمة، الفضاءات القادمة الطريق إلى ما بعد ما بعد الحداثة ، مؤسسة روافد للدراسات والترجمة والنشر،القاهرة،ط1، 2011، ص534.

[23] أماني أبو رحمة، الذات بين فوكو ولاكان، 15 فيبراير2025،
http://amaniaburahma.blogspot.com/2016/06/blog-post_1.html

[24] رنا فرمان محمد، الأدائية: بعد ما بعد الحداثة في رواية فرانكستاين في بغداد أنموذجا، مجلة القادسية، كلية الأدب، جامعة القادسية،مجلد:15، العدد:2، تشرين الأول 2014، ص148.

[25] أماني أبو رحمة، بعد ما بعد الحداثة، سلسلة الأنوار، الجامعة الإسلامية، فلسطين، المجلد 14، العدد:3-2024، ص118.

[26] المرجع السابق، ص118.
[27] أماني أبو رحمة، ثلاثة سمات لأدب بعد ما بعد الحداثة، ص4-5.
[28] المرجع نفسه، ص5.
[29] أماني أبو رحمة، بعد ما بعد الحداثة، ص117.
[30] المرجع السابق، ص116.
[31] المرجع نفسه، ص122.